مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (7) العدد (3) سبتمبر 2023
ISSN (Print): 2710-446x , ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2023/08/29 ، تاريخ القبول: 2023/09/27، تاريخ النشر: 2023/10/25

مقدّمة التّفسير وأهمّيتها للمفسّر ، مقدّمة ابن جزي أنموذجا

جبريل ناجي محمد أحمد*

الملخص

إن لمقدمة كل تفسير أهمية بالغة ، وحاجة ملحة لقراءتها والتمعن فيها قبل الشروع في القراءة أو الاطلاع على أي تفسير ؛ ففيها مفاتيح لأبواب تكون في بعض الأحيان محكمة الإغلاق في الفهم ، ولا يمكن فهم ما في التفسير إلا بالاطلاع على مقدمته .

وقد اهتم أغلب المفسرين بالمقدمة والتقديم لتفاسيرهم ؛ وذلك للتعريف بهذه التفاسير ولبيان منهج المفسر وكيفية مسيره في الشرح والبيان لكلام الله ﷻ ابتداء من الإمام ابن جرير الطبري وانتهاء بالإمام ابن عاشور ومن جاء بعده .

وهذا الإمام ابن جزي –رحمه الله– صاحب التفسير الموسوم بـ(التسهيل لعلوم التنزيل) قد وضع قبل وضعه للتفسير مقدمات ، بين فيها ما تمت الإشارة آنفا .

وفي هذا البحث تبيين لهذه المقدمات التي وضع ابن جزي فيها قواعده والأصول التفسيرية التي التزمها وسار عليها ، وقبل ذكر هذه القواعد وشرحها تم التعريف بالمفسر محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الغرناطي ، وذكر نبذة يسيرة من حياته العلمية وشيوخه وتلاميذه ، ومنهجيته في التفسير ووفاته .

ثم قام الباحث بدراسة هذه القواعد والأصول ، وبين ما أشكل منها وأوضح الغامض ، وشرح كل مقدمة بعد ذكرها ، وبين تلك القواعد والأصول التي التزمها المفسر ، فسهل بذلك النظر في التفسير ، ويعلم القارئ –وقبله الباحث– أن لكل مفسر منهجية خاصة به ، يلتزمها ويسير عليها .

هذا وأجو من الله ﷻ التوفيق والسداد والإخلاص في العمل ، فما كان من خطأ فأدعو الله المغفرة والرحمة فإنه هو الرحمن الرحيم والغفور الكريم ، وما كان من صواب فالحمد لله على توفيقه ومنه . **الكلمات المفتاحية:** التفسير، المقدمات ، ابن جزي .

*كلية الدعوة وأصول الدين

التّمهيد :

الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين ، والصّلاة والسّلام على النّبيّ الأمين ، محمّد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن مقدّمة كلّ فنّ من العلوم هي بمثابة خُلاصة ما يودّ صاحب الكتاب قوله ، ففيها يذكر تسمية كتابه وسبب تأليفه ومقاصده من وراء التّأليف ، ويُبيّن أيضا منهجه وطريقة سيره في كتابه .

وقد امتازت مقدّمات المفسّرين في تفاسيرهم بطولها وبيانها للقواعد المهمّة الّتي على كلّ مفسّر أن ينحو نحوها وينتهجها ، حتّى بلغت عند بعض المفسرين عشرة مقدّمات[1] يوضّح فيها ما تقدّم ذكره .

ومن بين هؤلاء المفسّرين الّذين كان لمقدّمة تفسيره أهمّية بالغة الإمام ابن جُزَيّ في تفسيره الموسوم بـ(التّسهيل لعلوم التّنزيل) وسيكون هذا البحث مخصّصاً لهذه المقدّمة ؛ لبيان أهمّيتها للدّارس والباحث في تفسير ابن جُزَيّ ، وأيضاً لتسليط الضّوء على هذه المقدّمات وما تحويه من العلوم المهمّة للمفسّر خاصّة ، والقارئ بشكل عامّ .

إشكالية البحث وتساؤلاته :

إن المفسر لكتاب الله ﷻ يضع لنفسه ضوابط وقواعد وأصول يسير عليها طوال فترة تفسيره للقرآن الكريم ، وفي هذا البحث تطرح هذه القواعد والأصول التي اعتمد عليها المفسر وتدرس إشكاليات تلك القواعد ومدى التزام المفسر بها ، وعليه تنتج تساؤلات منها :

1-هل للتفسير قواعد وأصول يسير المفسر وفق وضعها وعلى طريقها ؟

2-هل المفسر سار على هذه القواعد وما مدى التزامه بها ؟

3-ما أهمية المقدمات ففي التفسير ؟

(1) ينظر التّحرير والتّنوير ، الطّاهر بن عاشور ، فقد قسّم تقديمه لتفسيره إلى عشرة مقدّمات طِوال ، احتوت على علوم وفوائد جمّة ، للمزيد ينظر 1 / 10 – 130 .

أهمية هذا البحث :

تكمن أهمية هذا البحث فيما يلي :

1-يستمد أهميته من كتاب الله ﷻ إذ هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا منتهى لسبر أغواره .

2- الاهتمام بدراسة كتاب الله ﷻ من خلال دراسة التفاسير التي بينت المراد من كتاب الله ﷻ أو كشف وبيان معانيه .

ومن أهداف البحث ما يلي :

1-تسليط الضوء على الأصول التفسيرية والقواعد العامة التي يلتزم بها المفسر .

2-بيان مكانة هذه الأصول والقواعد من التفسير لكتاب الله ﷻ .

3-معرفة مدى الجهد المبذول من المفسر ومدى انضباطه بالقواعد وابتعاده عن الأهواء التفسيرية.

4-تعريف طلاب العلم بهذا العلم (أصول التفسير) لكي تتم دراسته والأخذ به وبقواعده .

حدود البحث :

وقد كان لهذا البحث حدودا لم تتجاوز ، وهي التعريف بابن جزي ونشأته العلمية ومؤلفاته وأبرز شيوخه وتلاميذه ومنهجه في التفسير ، ثم دراسة المقدمات التي افتتح بها ابن جزي تفسيره ، وإلقاء الضوء عليها ، ودراستها وإيضاح ما فيها .

المنهج المتبع في هذا البحث :

التزم الباحث بالتعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف ، وبين منهج ابن جزي في تفسيره ، ثم ذكر الباحث مقدمات ابن جزي وعرف بالمقدمة لغة واصطلاحا ، ثم أتى على المقدمات وبين أهميتها في التفسير وشرحها شرحا موجزا وبين ما فيها من الغموض وأوضح ما فيها من المبهمات .

الدراسات السابقة في هذ الموضوع :

بعد البحث والاطلاع لم يعثر الباحث –فيما بين يديه من المصادر– دراسات سابقة لهذا البحث .

مخطط البحث :

وقد قسم الباحث بحثه إلى مبحثين ، تسبقهما مقدمة وتمهيد وتتلوهما خاتمة ، تحت المبحث الأول خمسة مطالب ، والثاني ثلاثة مطالب ، وهي كالتالي :

المبحث الأول : التعريف بابن جزي ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : اسمه وكنيته .

المطلب الثاني : نشأته وجهوه العلمية .

المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المطلب الرابع : منهجه في التفسير . المطلب الخامس : وفاته .

المبحث الثاني : التعريف بالمقدمات والأبواب عند ابن جزي ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالمقدمة .

المطلب الثاني : مقدمة ابن جزي وأهميتها .

المطلب الثالث : الخلاصة .

والله أسألُ أن يكون هذا العمل متقبّلاً خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به القرّاء فإن كان فيه من توفيق ، فمن الله ﷻ ، وإن كان فيه من خطأ أو تقصير ، فأسأل الله الغفران والتّوبة ، إنّه وليّ ذلك وهو الرّحمن الرّحيم .

التّعريف بابن جزي : اسمه وكنيته .

هو محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرّحمن بن يوسف بن جزّي الكلبي الغرناطي،
أبو القاسم ، الفقيه المفسّر الأصولي الحافظ المحدّث(1).

نشأته وجهوده العلميّة :

(1) طبقات المفسّرين ، الدّاودي 85/2 . مقدّمة التّسهيل لعلوم التّنزيل ، ابن جزّي 3/1 .

نشأ ابن جزي على تعلّم القرآن وحفظه ، وسماع الحديث وتعلّم العربيّة ، وتفقّه على مذهب الإمام مالك –رحمه الله– وألّف فيه كتابه : القوانين الفقهيّة ، وله من المؤلّفات العلميّة ما يلي:

1–وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم .

2–الأقوال السّنيّة في الكلمات السّنيّة .

3–الدّعوات والأذكار المخرّجة من صحيح الأخبار .

4–تقريب الوصول إلى علم الأصول .

5–النّور المبين في قواعد عقائد الدّين .

6–المختصر البارع في قراءة نافع .

7–أصول القراءات السّتّة غير نافع .

8–الفوائد العامّة في لحن العامّة .

9–التّسهيل في علوم التّنزيل ، وهو التّفسير الّذي وضع له المقدّمة الّتي عليها مدار البحث .

10–فهرست ، اشتمل على ذكر كثيرين من علماء المشرق والمغرب(1).

شيوخه وتلاميذه :

ما من عَلم من أعلام الأمّة الإسلاميّة إلّا وقد أخذ العلم وتتلمذ للعلماء وثَنى ركبتيْه في حِلق العلم عندهم ، وقد قرأ ابن جزي –رحمه الله– القرآن الكريم على شيخه أبي جعفر ابن الزّبير ، ثمّ أخذ عنه اللغة العربيّة من نحوها وصرفها وبلاغتها ، ثمّ قرأ عليه الفقه والحديث والقراءات .

ومن شيوخه الّذين لازمهم وأخذ عنهم صنوف العلم : علي أبي الحسن بن سمعون وعلي أبي عبد الله بن العماد وابن رشيد وأبو القاسم قاسم بن عبد الله بن الشّاط، وروى عن أبي عبد الله بن أبي عامر بن ربيع وأبي المجد بن الأحوص (2).

(1)الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة ، العسقلاني 88/5 . والأعلام ، الزّركلي 325/5 .

(2) البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع ، الشّوكاني 325/2

ومن تلاميذه –رحمه الله– من يلي : لسان الدّين بن الخطيب وأبو الحسن النّبهاني وعبد الحقّ بن عطيّة ، صاحب التّفسير المشهور (المحرّر الوجيز) وغيرهم(1).

منهج ابن جزي في تفسيره :

سار ابن جزي –رحمه الله– في تفسيره على منهج معيّن ، بيّنه في مقدّمته والتزم بأغلبه ، حيث نهج كسابقيه من المفسّرين تفسير القرآن بالقرآن ، فإن لم يجد من القرآن ما يفسّر به الآية جنح للمرحلة الثّانية وهي السّنّة النّبويّة ، فإن لم يجد من السّنّة ما يفسّر الآيات انتقل إلى أقوال الصّحابة والتّابعين ، حيث ذكر ذلك في مقدّمته بقوله وأمّا وجوه التّرجيح فهي اثنا عشر وجها :

الأوّل : تفسير بعض القرآن ببعض ، فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ، ورجّحنا القول بذلك على غيره من الأقوال .

الثّاني : حديث النّبيّ ﷺ فإذا ورد عنه ﷺ تفسير شيء من القرآن عوّلنا عليه ، لا سيّما إن ورد في الحديث الصّحيح .

الثّالث : أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسّرين ؛ فإن كثرة القائلين بالقول تقتضي ترجيحه .

الرّابع : أن يكون القول قول من يُقتدى به من الصّحابة ؛ كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عبّاس(2) ؛ لقول النّبيّ ﷺ :"اللهم فقّهه في الدّين وعلّمه التّأويل"(3) .

الخامس : أن يدلّ على صحّة القول كلام العرب من اللغة أو الإعراب أو التّصريف أو الاشتقاق .(4)

ثمّ إنّ الإمام ابن جزي وضع معجماً لغويّاً في بداية تفسيره للمفردات العربيّة الّتي تحتاج إلى شرح وتفصيل ؛ حتى لا يلتبس على القارئ معاني تلك المفردات أثناء قراءته للتّفسير .

(1) الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة ، العسقلاني 88/5 . معجم المؤلّفين ، عمر رضا كحالة 11/9 .

(2) هو عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب ، ابن عمّ رسول الله ﷺ دعا له بالفقه والتّأويل ، حبر الأمّة وترجمانها ، توفي سنة 68 هـ الطّبقات الكبرى ، ابن سعد 232/1 . الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر 3/ 987 .

(3) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ، عن ابن عباس ، قال محقّق الكتاب : إسناده قويّ على شرط مسلم . للمزيد ينظر 225/4 .

(4) للمزيد ينظر التّسهيل لعلوم التّنزيل ، ابن جزي 22/1 .

أمّا ما يخص القراءات فقد التزم بقراءة نافع وجعلها أصلاً يعتمد عليه في التّفسير ، وجعل غيرها من القراءات موضع مزيد استفادة وبيان للمعاني .

أمّا ما يخص الإسرائيليّات الّتي ذُكرت عند أغلب المفسّرين ، فقد كان له منها في تفسيره نصيب ، رغم انتقاده للمفسّرين في سردها دون التّدقيق في درجة صحّتها وثبوتها .

وبالعموم فإنّ منهج ابن جزي –رحمه الله– منهج قويّ معتبر عند المفسّرين وأهل العلم .

وفاته :

استشهد الإمام ابن جزي –رحمه الله– وهو يعدّ العدّة لمعركة طريف سنة 741 هـ .(1)

التّعريف بالمقدّمة :

المقدّمة لغةً : من قدَم يقدُم ، قدْماً وقدوما ، والمفعول مقدوم ، والمعنى : تقدّم ، ومنه قول الله ﷻ : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾(2) أي أنّه يتقدّمهم ، إذ هو رئيسهم ، قدَمهم يقدُمهم قدْماً وقدوماً إذا تقدّمهم .(3)

واصطلاحاً هي : الصّفحات الأولى القليلة الّتي تشرح مضمون الكتاب وموضوعه ، وتعرّف به .

ومقدّمة العلم : ما يتوقف عليه صحّة الشّروع . ومقدّمة الكتاب : ما يتوقف عليه الشّروع على بصيرة (4)

ومن ذلك يتبيّن أنّ للمقدّمة أهميّة بالغة تتمثّل في الآتي :

1–التّعريف بالكتاب أو الشّيء المقدَّم له .

2–بيان مقصود الكتاب والدّاعي للتّأليف باختصار وإيجاز .

(1) الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة ، العسقلاني 89/5 .
(2) سورة هود ، الآية رقم 98 .
(3) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي 9 / 76 .
(4) الكليّات ، أبو البقاء الحنفي 870/1 .

3-بيان ما يحتويه الكتاب من نقاط رئيسيّة مهمّة .

4-يتبيّن من خلالها مدى قدرة المؤلّف على التأليف وقوّته في الإلمام بما كتب .

ولذا من الملاحظ عند البحّاث أنّ مقدّمة ابن خلدون ، هي في الحقيقة جزء من كتاب له اسمه : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر . وما ذلك إلّا لأنّ ابن خلدون قد أعطى المقدّمة مزيد اهتمام ، فتناول فيها جميع ميادين المعرفة ، فاستحقّت أن تكون مؤلّفاً مفرداً ومستقلّاً ، لما فيها من المعارف الموسوعيّة .(1)

ومن هذا اتّضح مدى أهميّة المقدّمة لصاحب الكتاب ، والقارئ الّذي يأتي من بعده ، ففيها علم جمّ ، وفوائد محررة ، وأقوال مبدئيّة مفيدة ، وشروح لمقاصد المؤلِّف ، وإيضاح لبعض ما يُبهم أو يُشكل على القارئ .

مقدّمة ابن جزي وأهمّيّتها :

استهلّ ابن جزي –رحمه الله– مقدّمته بحمد الله والثّناء عليه بالجميل ، ثمّ الصّلاة والسّلام على الرّسول الكريم ﷺ وآله وأصحابه أجمعين ، شأنه في ذلك شأن كلّ خطبة كتاب أو تقديم له .

ثمّ بيّن سبب تأليفه لهذا التّفسير والدّافع له على ما أقدم عليه ، فجمع في نقاط أربع بين ما قصده من التّأليف والفوائد المرجوّة منه فقال –رحمه الله– :

وصنّفتُ هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم ، وسائر ما يتعلّق به من العلوم وسلكت فيه مسلكاً نافعاً ؛ إذ جعلته وجيزاً جامعاً ، قصدت به أربع مقاصد تتضمّن أربع فوائد :

الفائدة الأولى : جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم ، تسهيلاً على الطّالبين ، وتقريباً على الرّاغبين ، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمّنته الدّواوين الطّويلة من العلم ، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها ، وتنقيح فصولها وحذف حشوها وفضولها ..

(1) للمزيد ينظر المقدّمة ، ابن خلدون .

الفائدة الثانية : ذكر نكت(1) عجيبة وفوائد غريبة ، قلّما توجد في كتاب ؛ لأنّها من بنات صدري وينابيع ذكري(2)، وممّا أخذته عن شيوخي أو ممّا التقطته من مستظرفات النّوادر(3) الواقعة في غرائب الدّفاتر .

الفائدة الثالثة : إيضاح المشكلات ، إما بحلّ العقد المقفلات ، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات وبيان المجملات .

الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسّرين ، والتّفرقة بين السّقيم منها والصّحيح ، وتمييز الرّاجح من المرجوح .. (4)

ومن هذا تبيّن أنّ ابن جزي –رحمه الله– عزم في تفسيره أن يكون له في طيّات مقاصده ما يفيد القارئ وما ينفع النّاس من وراء ما قصد له .

ثمّ إنّ ابن جزي –رحمه الله– قد قسّم مقدّمة تفسيره إلى مقدّمتين :

المقدّمة الأولى : وفيها اثنا عشر بابا ، وهي :

الباب الأوّل : في نزول القرآن العظيم وجمعه في المصحف، ونقطه وتحزيبه وتعشيره وذكر أسمائه .

ولا يخفى ما لهذا الباب من أهميّة في معرفة أوّل ما نزل وآخره ، وجمع المصحف واختلاف الصّحابة ثمّ اجتماع أمرهم على جمعه ، وما في ذلك من أحكام وفوائد استنبطها العلماء من فعل الصّحابة ﷺ .

(1) النّكت جمع نكتة ، وهي : المسألة الدّقيقة الّتي يصل إليها الإنسان بعد فكر ونظر ، مأخوذة من قولهم : نكت رمحه بأرض إذا أثر فيها . وعليه فقد سمّيت المسألة الدّقيقة نكتة ؛ لتأثير الخواطر في استنباطها . للمزيد ينظر كتاب مفاتيح التّفسير ، معجم شامل لما يهم المفسر معرفته من أصول التّفسير وقواعده ومصطلحاته ومهمّاته ، أحمد سعد الخطيب ص 928 .

(2) لعلّه قصد بنات أفكاره ، وهي : المقدّمات الّتي إذا ركّبت تركيباً خاصّاً أدّت إلى مطلوب . للمزيد ينظر مفاتيح التّفسير ، الخطيب ص 225 .

(3) لعلّ مقصده من المستظرفات هي لطائف النّوادر ، واللطيفة هي كلّ إشارة تلوح للفهم ، لا تسعها العبارة ، المصدر السّابق ص 782.

(4) التّسهيل لعلوم التّنزيل ، ابن جزي 12/1 .

وأيضاً نقط المصحف وشكله وتقسيمه إلى أحزاب وأعشار ، ومَن أوّل واضع لذلك؟ وما فوائده الّتي خدمت الأمّة الإسلاميّة بأسرها ؛ من سهولة حفظ وفهم وغير ذلك ؟ وأسماء القرآن ومعانيها ، كلّ ذلك ممّا له أهميّة يُتوقّف عندها . (1)

الباب الثّاني : في السّور المكيّة والمدنيّة .

وهو أيضاً باب نافع ، يعين المفسّر على فهم الآيات والسّور عند تفسيرها ، فما نزل بمكّة له من الأحكام والخصوصيّة الّتي تتعلّق به دون ما نزل بالمدينة ؛ حيث غلب على النّازل بمكّة ترسيخ العقيدة الخالية من الشّرك والتّأكيد على اليوم الآخر ؛ فقد كان الغالب على المشركين وقتئذ التّكذيب باليوم الآخر ، وأيضاً ما امتازت به السّور والآيات المكّيّة من القصر الّذي يحمل بلاغةً وإعجازاً تحدّى به عقول وألسنة البلغاء فانخرست .

أمّا القرآن المدنيّ فغلب على سوره وآياته الطّول والتّفصيل في الأحكام ، والتّركيز على الجانب الفقهي والمدني والبناء للمجتمع والدّولة .(2)

الباب الثّالث : في المعاني والعلوم الّتي تضمّنها القرآن .

لا ريب أنّ القرآن الكريم قد حوى كلّ العلوم والمعارف ، وأثبت أنّه كتاب صالح لكلّ زمان ومكان ، ومصلِح لكلّ قوم وعشيرة ودولة ، وما ذاك إلّا لكونه كتاباً إلهيّاً متحدًّى به ، وهو خاتمة الكتب الإلهيّة والمهيمن على جميعها . قال الله ﷻ : ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾(3).

قسّم ابن جزي –رحمه الله– في هذا الباب بعضاً من علوم القرآن إلى قسمين ، حيث قال : ولنتكلم في ذلك على الجملة والتّفصيل : أمّا الجملة فاعلم أنّ المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله ﷻ وإلى الدّخول في دين الله ﷻ ، ثمّ إنّ هذا المقصد يقتضي أمرين لابدّ منهما ، وإليهما ترجع معاني القرآن كلّه :

(1) المصدر السّابق .

(2) التّسهيل لعلوم التّنزيل ، ابن جزي 16/1 .

(3) سورة المائدة ، الآية رقم (48) .

أحدهما : بيان العبادة الّتي دُعي الخلق إليها . وقصده : أصول العقائد وأحكام الأعمال .

والآخر : ذكر بواعث تبعثهم على الدّخول فيها وتقودهم إليها . وقصده بها أمران : التّرغيب والتّرهيب .

ثمّ ذكر العلوم الّتي في القرآن على سبيل التّفصيل ، وجعلها سبعة وهي :

علم الرّبوبية والنّبوّة والمعاد والأحكام والوعد والوعيد والقصص .(1)

الباب الرّابع في فنون العلم الّتي تتعلّق بالقرآن .

أجاد الإمام ابن جزي في تمحيص هذا الباب وتقسيمه ، وشرحه شرحاً مجملاً ، وبين فيه معنى التفسير وما هو متفق عليه وما هو مختلف عليه ، وأن المختلف عليه يقع على ثلاثة أنواع، وبين تلك الأنواع ، حيث قال : اعلم أنّ الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنّاً من العلوم وهي : التّفسير والقراءات والأحكام والنّسخ والحديث والقصص والتّصوّف وأصول الدّين وأصول الفقه واللغة والنّحو والبيان .(2)

ونبّه على كلّ فنّ أو نوع من هذه الفنون الّتي ذكرها بشرح موجز سريع ، دلّ فيه على إحاطته وعلمه بهذه الفنون ، والّتي تُعدّ من أهمّ مفاتيح المفسِّر لكي يخوض في علم التّفسير ، وبدونها لا يستطيع المتكلّم في كتاب الله ﷻ وتفسيره أن يجيد التّفسير أو التّأويل .

(1) التّسهيل لعلوم التّنزيل ، ابن جزي 17/1 .

(2) التّسهيل لعلوم التّنزيل 18/1 .

الباب الخامس : في أسباب الخلاف بين المفسّرين ، والوجوه الّتي يرجّح بها بين أقوالهم .

دلّ كلامه في هذا الباب على إحاطته بأسباب الخلاف ، والّتي عدّها اثني عشر سبباً ، وهي : اختلاف القراءات(1) واختلاف وجوه الإعراب(2) والاختلاف في معنى الكلمة واشتراك اللفظ في معنييْن فأكثر(3) واحتمال العموم والخصوص واحتمال الاطلاق والتّقييد واحتمال الحقيقة والمجاز واحتمال الاضمار والاستقلال واحتمال كون الكلمة زائدة(4) واحتمال حمل الكلام على التّرتيب أو على التّقديم والتّأخير واحتمال كون الحكم منسوخاً أو محكماً واختلاف الرّواية في التّفسير عن النّبيّ ﷺ .(5)

(1) وذلك مثل الخلاف في قراءة قوله ﷻ : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ على قراءتين : (يرتعِ) بكسر العين ؛ والمعنى : من رعى الإبل ، أو من رعي بعضهم لبعض وحراسته . و(يرتعْ) بالإسكان والمعنى : من الرّتع وهو الإقامة في الخصب والتّنعّم . للمزيد ينظر شرح مقدّمة التّسهيل لعلوم التّنزيل ، الطّيّار 146/1 .

(2) كالخلاف قوله ﷻ : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ ، فقوله ﷻ : ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ إمّا متعلّق بما قبله ، ويكون المعنى : أنّ الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كلّ أمر يقضيه الله ﷻ في ذلك العام . أو أنّ المجرور متعلّق بما بعده ، والمعنى : أنّها سلام من كلّ أمر ، أي سلام من الآفات. فتبيّن من ذلك أنّ الاختلاف في الإعراب مبنيّ على الاختلاف في المعنى . للمزيد ينظر التّسهيل 662/2 .

(3) ومن أمثلة ذلك عند قوله ﷻ : ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾فمعنى الجزء في الآية على معنييْن : البنات ، وصاحب هذا القول استدلّ بما نُقل من أشعار العرب في ذلك ، أو هو على معناه الأصلي ؛ والمعنى : جعلوا مع اعترافهم لله ﷻ بخلق السّموات والأرض جزءاً من عباده وصفوهم بهذا الوصف. للمزيد ينظر شرح مقدّمة التّسهيل لعلوم التّنزيل ، الطيار 150/1 .

(4) القول بأنّ في القرآن حرف أو كلمة زائدة غير صحيح ، فلا زيادة ولا نقص في كتاب الله ﷻ وقد كتب العلماء المتأخّرون في ذلك . للمزيد ينظر حروف الزّيادة في القرآن بين المانعين والمجزيين ، سامي عطا حسن 3/1-5 .

(5) التّسهيل لعلوم التّنزيل ، ابن جزي 22/1 بتصرّف يسير .

وأيضاً الخلاف في وجوه التّرجيح[1] وعدّها أيضاً اثني عشر وجهاً ، وهي : تفسير بعض القرآن ببعض وتفسير القرآن بالحديث واختيار قول الجمهور وأكثر المفسّرين في التّفسير ، والتّفسير بقول الصّحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عبّاس[2].

والتّرجيح بما صحّ من كلام العرب والتّرجيح بسياق الكلام ؛ سباقه ولحاقه والتّرجيح بما يتبادر للذّهن أوّلاً ، والتّرجيح بتقديم الحقيقة على المجاز والتّرجيح بتقديم العموم على الخصوص والتّرجيح بتقديم المطلق على المقيّد والتّرجيح بتقديم الاستقلال على الإضمار والتّرجيح بحمل الكلام على ترتيبه الموضوع له .

من هذا التّقسيم الدّقيق تبيّن أنّ ابن جزي قد أحاط علماً بأدوات التّفسير وعلومه وفنونه الهامّة ، وأنه استعمل هذه الأدوات والعلوم والفنون في مكانها .

الباب السّادس : في ذكر المفسّرين .

حيث ذكر ابن جزي في هذا الباب طبقات المفسّرين ، وقبل ذلك قسّمهم إلى قسميْن : منهم من فسّر القرآن وتكلّم في معانيه قال : وهم الأكثرون . ومنهم من توقّف عن الكلام فيه احتياطاً ؛ وذلك لورود الأحاديث الّتي شدّدت القول في القرآن بالرّأي ، وساق حديث أمّ المؤمنين عائشة[3] قولها : ما كان رسول الله ﷺ يفسّر من القرآن إلّا الآيات بعدد علّمه إيّاهنّ جبريل عليه السلام، ثمّ ساق قول النّبيّ ﷺ : (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)[4] .

ثمّ إنّه عرّج على تقسيم هذه الطّبقات ، فكانت ثلاث طبقات وهي :

(1) التّرجيح لغةً هو : مصدر من رجح الشّيء يرجح ترجيحاً ، والرّاجح : الوازن ، وأرجح الميزان أي : أثقله حتّى مال ، والمعنى العام له : أن تجعل الشيء راجحا أي : فاضلا زائدا . وأما في الاصطلاح فهو : تقوية أحد الدّليليْن بوجه معتبر . للمزيد ينظر التّعاريف ، محمّد عبد الرّؤوف المناوي 1 / 170 .

(2) التّسهيل لعلوم التّنزيل ، ابن جزي 23/1 بتصرّف يسير . وعبد الله بن عبّاس سبقت ترجمته ، صفحة 6 .

(3) هي عائشة بنت أبي بكر الصّديق ، الصّديقة بنت الصّديق ، أم المؤمنين ، وزوج رسول الله ﷺ ، تزوّجها ﷺ قبل الهجرة بسنتين ، أفقه نساء المسلمين وأعلمهنّ بالدّين والأدب ، وأكثرهنّ رواية للحديث . توفيت سنة 58 هـ . أسد الغابة في معرفة الصّحابة ، ابن الأثير 383/3 . سير أعلام النّبلاء ، الذّهبي 447/3 .

(4) الحديث أخرجه التّرمذي في سننه عن جندب بن عبد الله حديث رقم (2952) في كتاب التّفسير من السّنن وقال عنه : هذا حديث غريب 200/5 .

1-طبقة الصّحابة ، وتمثّلت في الجيل الأوّل ممّن شهد الوحي وتلقّى عن رسول الله ﷺ وأكثرهم كلاماً في التّفسير ، كعبد الله بن عبّاس وعليّ بن أبي طالب[1] وعبد الله بن مسعود[2] وأُبيّ بن كعب[3] وغيرهم .

2-وطبقة التّابعين ، وتمثّلت فيمن عاصر أو أخذ القرآن والعلم عن الصّحابة قال: وأحسنهم كلاماً في التّفسير: الحسن بن أبي الحسن البصري[4] وسعيد بن جبير[5] ومجاهد مولى ابن عبّاس[6] وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود ﷺ[7].

3-وطبقة أتباع التّابعين ، وذكر في هذه الطّبقة عدداً كبيراً من المفسّرين من أقطار شتّى ، وذكر ما صنّفوه من الكتب في التّفسير.

(1) هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم ، ابن عمّ رسول الله ﷺ وصاحبه وزوج ابنته فاطمة ، ورابع الخلفاء الرّاشدين ، وأحد العشرة المبشّرين بالجنّة . توفي سنة 40 هـ . الطّبقات الكبرى ، ابن سعد 13/3. والاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البرّ 335/1 .

(2) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهُذلي ، أبو عبد الرّحمن ، أحد صحابة رسول الله ﷺ من السّابقين الأوّلين ، شهد بدراً وهاجر الهجرتيْن ، إمام حبر فقيه ، توفي سنة 32 هـ . الطّبقات الكبرى ، محمّد بن سعد البغدادي 111/3 . وسير أعلام النّبلاء ، شمس الدّين الذهبي 3 /280 .

(3) هو أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن النّجار الأنصاري ، أبو المنذر ، من صحابة رسول الله ﷺ وسيّد القرّاء، شهد العقبة وبدراً وكان رأساً في العلم والعمل ، توفي سنة 30 هـ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البرّ 21/1 . وسير أعلام النّبلاء ، الذّهبي 377/1 .

(4) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، أبو سعيد ، ورعاً زاهداً فصيحاً ، غزير العلم ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وتوفي سنة 110 هـ . حلية الأولياء ، أبو نعيم 131/2 . طبقات المفسّرين ، الدّاودي 150/1 .

(5) هو سعيد بن جبير الأسدي الوالبي ، أبو محمّد ، إمام حافظ مقرئ مفسّر ، أخذ العلم عن عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن عمر وعائشة أمّ المؤمنين ، قتله الحجّاج بسبب خروجه مع عبد الرّحمن بن الأشعث سنة 95 هـ . تاريخ أصبهان ، أبو نعيم 381/1 . تقريب التّهذيب ، ابن حجر 234/1 .

(6) هو مجاهد بن جبر المكي ، أبو الحجّاج ، تابعي مفسِّر من أهلّ مكّة ، أخذ التّفسير عن ابن عبّاس قرأه عليه ثلاث مرّات ، توفي سنة 104 هـ صفة الصّفوة ، ابن الجوزي 2 / 11 . وسير أعلام النّبلاء ، الذّهبي 4 / 454 .

(7) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك الهمداني ، أبو شبل ، كان فقيه العراق ، يشبه ابن مسعود في هديه وسمته وفضله ، توفي سنة 62 هـ الأعلام ، خير الدين الزركلي 248/4 .

فدلّ بذكر هذا الباب إحاطته –رحمه الله– بالمفسّرين من قبله وبأقوالهم في التّفسير والعلوم الأخرى ، وهذا ما يشير إلى علوّ كعبه في هذا الفنّ واهتمامه به .

الباب السّابع : في النّاسخ والمنسوخ .

تناول ابن جزي في هذا الباب تعريف النّسخ في اللغة، ومعناه في الشّريعة وكيفيّة وقوعه في القرآن الكريم ، وقد أجاد في عرض هذا الباب ، وقدم له تقديما بين فيه التعريف بالنسخ في اللغة والشرع وبين كيفية وقوعه في القرآن فقال –رحمه الله– : ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأوّل : نسخ اللفظ والمعنى ، كقوله ﷺ : (ولا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم)[1] .

الثّاني : نسخ اللفظ دون المعنى ، كقوله ﷺ : (الشّيخ والشّيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة نكالاً من الله والله عزيز حكيم)[2] .

الثّالث : نسخ المعنى دون اللفظ ، وهو كثير ، وقع منه في القرآن –على ما بعض العلماء– مائتا موضع واثنتا وعشرة مواضع منسوخة .[3]

ثمّ ذكر من هذه المواضع ما يخصّ آيات القتال ونسخ مسالمة الكفّار ، ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه من التّفسير ، ابتدأ بسورة البقرة إلى أن وصل سورة الكافرون .

فتبيّن مدى اهتمام الإمام ابن جزي بعلم النّاسخ والمنسوخ ، وما فيه من الأهميّة القصوة أثناء تفسير الآيات القرآنيّة ، حتّى يتّضح ما هو منسوخ منها بنواسخه ، فلا يكون تفسيره لآية منسوخة عبثاً وإهداراً للوقت .

الباب الثّامن : في جوامع القراءات .

يقول ابن جزي –رحمه الله– في هذا الباب : وهو على نوعيْن : مشهورة وشاذّة ، فالمشهورة القراءات السّبع .. والشّاذة ما سوى ذلك .

(1) في مثل هذه الآية المنسوخة ، كان الصحابة يعبّرون عنها بقولهم : كان ممّا يُتلى أو كان ممّا نزل أو كان ممّا نقرأ كذا وكذا . فيدلّ قولهم على أنّ الآية نزلت وعُمل بها إلى وقت معيّن ثمّ نسخت . للمزيد ينظر شرح مقدّمة التّسهيل ، الطّيّار 153/1 .

(2) المرجع السّابق .

(3) التّسهيل لعلوم التّنزيل ، ابن جزي 25/1–26 .

ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاثة شروط :

1-موافقته لمصحف عثمان بن عفّان ﷺ [1] .

2-موافقته لكلام العرب ، ولو على بعض الوجوه أو في بعض اللغات .

3-نقله نقلاً متواتراً أو مستفيضاً .[2]

وقد لُوحظ على الإمام في هذه الشّروط أنّه قد جانب الصّواب في تسميتها شروطاً ؛ لأنّه إذا ورد النّقل المتواتر المستفيض ، فإنّ الشّرطيْن الأوّليْن يتبعان الشّرط الثّالث ؛ لأنّ الأصل في ثبوت القرآن الكريم هو الحفظ القلبيّ ونقله وانتقاله في الصدّور عن طريق السّماع والحفظ ، لا الكتابة والرّسم ، وهذا ما امتاز به هذا الكتاب الإلهيّ عن غيره من الكتب السّماويّة .

فالقرآن الكريم اعتمد -بعد حفظ الله ﷻ له- على قوّة الحفظ والاستظهار ، ولم يكن في بدايات نزول الوحيّ أدوات كافية للكتابة والتّوثيق .

ولكن لعلّ الإمام ابن جزي -في وضعه لهذه الشّروط أنّه لم يقصد أنّه بانتفاء هذه الشّروط تنعدم صحّة وثبوت القرآن ، لأنّ الرسم إنّما هو زيادة في الضّبط والتّوثيق ، ولو لم يكن الرّسم موجوداً لكان القرآن موجوداً ومتلوّاً ومحفوظاً كما أنزل في صدور الرّجال، على مدار زمن هذه الأمّة الإسلاميّة .[3]

الباب التّاسع : في المواقف .

أي : الوقف في القرآن الكريم وأحكامه ، قال -رحمه الله- : وهي أربعة أنواع : وقف تام وحسن و كاف وقبيح .

(1) هو عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، أبو عبد الله ، ثالث الخلفاء الرّاشدين ، وذو النورين ، وصاحب رسول الله ﷺ ، وأحد العشرة المبشّرين بالجنّة ، توفي سنة 35 هـ . الطّبقات الكبرى ، ابن سعد 39/3 . الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البرّ 1037/3 .

(2) التّسهيل لعلوم التّنزيل ، ابن جزي 29/1 .

(3) للمزيد ينظر شرح مقدّمة التّسهيل لعلوم التّنزيل ، الطّيّار 232/1 .

-فالوقف التّام أن يكون الكلام الأوّل مستقلّاً عن الكلام الثّاني ولم يتعلق بما بعده لفظا ومعنى؛ كما في قوله ﷻ : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[1] فهنا وقف تام، ثمّ يبدأ الكلام بقوله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[2] .

-والوقف الكافي ، وهو أن يكون الكلام الأوّل مستقلّاً ، يفهم دون الثّاني ، ولكنّ الثّاني لا يفهم إلّا بما قبله ، فالوقف الأوّل كاف . ويقول عنه علماء القراءة : هو ما كان فيه ارتباط من جهة المعنى وليس من جهة الإعراب . كقوله ﷻ : ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾[3].

ففي قوله ﷻ : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ ارتباط بما قبله من جهة المعنى ، سواء كان هذا القول لله ﷻ أو لبلقيس .[4]

-والوقف الحسن وهو ما كان تام المعنى من جهة الإعراب ، ولكن لا يحسن البدء بما بعده ؛ لأنّ ما بعدها مرتبط بها من جهة الإعراب ، كما في قوله ﷻ : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[5] فلا يحسن الابتداء بـ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ من جهة الإعراب.[6]

-والوقف القبيح ، وهو على قسميْن :

1-الفصل بين متلازميْن ، كالفصل بين المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل .

2-إدخال ما ليس من الجملة فيها ، كما في قوله ﷻ : ﴿۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ

(1) سورة البقرة ، الآية رقم (5) .

(2) سورة البقرة ، الآية رقم (6) .

(3) سورة النمل ، الآية رقم (34) .

(4) شرح مقدّمة التّسهيل لعلوم التّنزيل 249/1 .

(5) سورة الفاتحة ، الآية رقم (2) .

(6) التّسهيل لعلوم التّنزيل 30/1 .

ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾[1] فالوقف على الموتى قبيح لأنّها ليست من الجملة قبلها ، وتثبت للموتى سماعاً ، ومعلوم أنّ السّماع للّذين يسمعون .[2]

ممّا سبق يتبيّن أنّ لِعلم الوقف أهميّة بالغة في تحديد المعنى ، وتصحيح الإعراب، وعدم خلط الكلام ، فهو علم نفيس نبّه عليه الإمام ابن جزي –رحمه الله.

الباب العاشر : في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان .

وهو باب نفيس وفنّ من العلوم جليل ، يحتاجه المفسّر احتياج المسافر للماء ، لأنّ اللغة العربيّة لغة حيّة بمقوّماتها وبمفرداتها وتركيباتها الّتي اختصّت بها عن غيرها من اللغات، ومن ذلك البلاغة بأقسامها الثّلاثة : علم المعاني والبديع والبيان.

وابن جزي –رحمه الله– في مقدّمته أشار إلى أدوات البيان الّتي وردت في القرآن ، فقال: وأمّا أدوات البيان ، فهي صناعة البديع ، وهو تزيين الكلام كما يزيّن العلمُ الثّوب ، وقد وجدنا في القرآن منها اثنيْن وعشرين نوعاً ، ونبّهنا على كلّ نوع في المواضع الّتي وقع فيها من القرآن .[3]

ممّا سبق يتبين أنّ الإمام ابن جزي –رحمه الله– ملمّ بهذا العلم الغزير المعنى والكثيرة ألفاظه في كتاب الله ﷻ ، وما من مفسّر إلّا وهو محتاج لهذا النّوع من العلوم لكي يفهم كلام الله ﷻ ، ويتمكّن من تفسير الآيات عن طريق هذه الأدوات .

ولو لم يكن المفسّر علمه محيط بأقسام البلاغة الثّلاثة لما استطاع أن يبحر في أعماق القرآن الكريم ، أو أن يستخرج منه معاني جديدة ، فعلم البلاغة بأقسامه الثلاثة (البيان والمعاني والبديع) علم جم وباب واسع من أبواب العلم التي تحتاج إلى ذائقة لغوية شفافة ، يستطيع بها المفسر فهم كلام الله ﷻ وتبيين معانيه من خلال فهم التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية

(1) سورة الأنعام ، الآية رقم (36) .

(2) المرجع السابق .

(3) التّسهيل لعلوم التّنزيل ، ابن جزي 31/1 .

وغيرها من أبواب علم البلاغة ، كما في قوله ﷻ : ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ (1) ففي الآية كناية ، وهي من أدوات البيان ومعناها : التّعبير عن الشّيء بما لا يلازمه من غير تصريح ، ففي الآية هنا التّنبيه على أنّ عيسى ابن مريم وأمّه –عليهما السّلام– أكلهما الطّعام يحتاج إلى إخراج، ولذا قال ابن عبّاس ﵄: إنّ الله حييّ ، يكنّي عن الأمر (2).

فتبيّن ممّا ذُكر أهمّيّة علم البلاغة للمفسّر ، ومدى إحاطة الإمام ابن جزي بهذا العلم ، حيث ذكره على وجه الإجمال في مقدّمته ، ليؤكّد للقارئ أنّه ملمّ بهذا العلم وأدواته المختلفة .

الباب الحادي عشر : في إعجاز القرآن وإقامة الدّليل على أنّه من عند الله ﷻ .

الإعجاز من المعجزة ، وهي : أمر خارق للعادة مقرون بالتّحدي مع عدم المعارضة .(3) تحدّى الله ﷻ العالمين أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، وأثبت لهم عجزهم عن ذلك قبل محاولتهم ذلك ، حيث قال ﷻ : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ (4). وهذا من التحدي الأقوى ؛ فقد تحداهم أن يأتوا بمثله ، وقبل أن يفعلوا أثبت عجزهم عن أن يفعلوا ، وهذا لا يكون إلا في القرآن الكريم .

وقد ذكر الإمام ابن جزي في مقدّمته وجوهاً من إعجاز القرآن منها :

–فصاحته الّتي امتاز بها .

–نظمه العجيب وأسلوبه الغريب .

–ما أخبر به من أخبار في الأمم السّابقة .

–ما أخبار من الأمور المستقبليّة ، ووقوعها كما أخبر ﷻ .

(1) سورة المائدة ، الآية رقم (75) .
(2) شرح مقدّمة التّسهيل لعلوم التّنزيل ، الطّيّار 265/1 .
(3) علوم القرآن ، نور الدّين عتر ص 204 .
(4) سورة الإسراء ، الآية رقم (88) .

-عجز المخلوقين أن يأتوا بمثله ، من زمن نزوله إلى الآن.

-كونه محفوظاً عن الزّيادة والنّقصان .(1)

فهذا باب عظيم من أبواب المقدّمة ، ففيه يدرك المفسّر عظمة كلام الله ﷻ فهو من عند الله الّذي تحدّى المخلوقين قاطبة أن يأتوا بآية من مثله ، فعجز الكلّ عن ذلك ، وإذا أدرك المفسّر هذا ، أوغل في كتاب الله ﷻ برفق وتواضع ، معظّماً لهذا الكلام مبجّلاً له بكلّ وقار .

الباب الثّاني عشر : في فضائل القرآن .

ذكر الكثير من المفسرين أحاديث وآثارا تدل على فضل القرآن الكريم وأهميته حفظه ودراسته ، ومن هذه الأحاديث ما صح سنده إلى النبي ﷺ ومنها ما لم يصح ، بل ومنها ما كان موضوعا وكذبا على النبي ﷺ وقد نبه العلماء المتأخرون على مثل هذه الأحاديث المكذوبة .

وقد ختم ابن جزي -رحمه الله- مقدّمته الأولى بهذا الباب ليحفّز القارئ للقرآن أو التّفسيرِ ويشجّعه على ذلك ، فذكر فضائل القرآن بما ورد فيه من الأحاديث الدّالّة على فضل قراءته ، وتدبّره فيه مزيد نشاط لمن يقرأه أو يقرأ تفسيره .

ذكر في هذا الباب أحاديثاً وآثاراً منها :

-عن أبي أمامة الباهليّ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (اقرءوا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) .(2)

-عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : (مثل المؤمن الّذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة ، ريحها طيّب وطعمها طيّب ، ومثل المؤمن الّذي لا يقرأ القرآن مثل التّمرة الّتي لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الّذي يقرأ القرآن مثل الرّيحانة ، ريحها طيّب وطعمها مرّ ، ومثل المنافق الّذي لا

(1) للمزيد ينظر التّسهيل لعلوم التّنزيل 33/1 .

(2) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة الباهليّ برقم (252) باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة 553/1 .

يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، ليس لها ريح وطعمها مرّ) .[1]

-عن أبي الدّرداء ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال ﷺ : (﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن)[2] .

المقدّمة الثّانية : في تفسير معاني اللغات .

وهذه المقدمة لها من الأهمية الدور الأبرز ؛ فبها بيان المعاني ووضوح الألفاظ وكشف الغامض من الكلمات المشتركة في اللفظ أو المعنى ، وتعتبر هي المفتاح للدخول في التفسير وتجلية المراد من كلام
الله ﷺ . وابن جزي -رحمه الله- كان عالما بأهمية هذه المعاني والكلمات للمفسر أو القارئ ، فشرع في بيانها في مقدمته ليكون القارئ قد أخذها زادا له قبل شروعه في رحلة القراءة للتفسير .

قال ابن جزي : نذكر في هذه المقدّمة الكلمات الّتي يكثر دوْرها[3] في القرآن ، أو تقع في موضعيْن فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف ، وإنّما جمعناها في هذا الباب لثلاث فوائد :

-أحدها : تيسيرها للحفظ ؛ فإنّها وقعت في القرآن متفرّقة ، فجمعُها أسهل لحفظها .

-الثّانية : ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التّفسير .

-الثّالثة : الاختصار ، فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن .

فقد جمع الإمام ابن جزي في مقدّمته الثّانية معاني مفردات الكلمات الّتي يكثر تداولها في التّفسير ، فبيّن معانيها حتّى لا تكون مكرّرة ، أو تأتي كالحشو في التّفسير .

وقد رتّبها على التّرتيب الألفبائي ، يذكر الباحث البعض منها ؛ وذلك لكثرتها التي تحول بينها وبين ذكرها هنا ؛ لأنها تستوعب صفحات البحث في حال ذكرها وبيانها . فمن هه المفردات أو

(1) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعريّ برقم (243) ، باب فضيلة حافظ القرآن ، 549/1.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي الدّرداء ، والحديث بكماله هو : (أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟ قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟! قال ﷺ : (قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن) . باب : فضل قراءة قل هو الله أحد ، 241/4 .

(3) المعنى : يكثر تكرارها في التّفسير ؛ لكثرة تكرّرها في الآيات القرآنية .

الكلمات التي اعتنى بها المفسر ما يلي :حرف الهمزة ، آية : لها معنيان : عبرة وبرهان ، والثّاني : آية من القرآن وهي كلام متّصل إلى الفاصلة ، والفواصل هي رؤوس الآيات .

حرف الباء ، بوّأ : أنزل الرجل منزلاً ؛ ومنه قول الله ﷻ : ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾(1) و ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾(2) و ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾(3).

حرف الدّال ، دين : له خمسة معان : الملّة والعادة والجزاء والحساب والقهر .

حرف الطّاء ، طهارة : لها معنيان : الطّهارة بالماء ومنه : ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾(4)

والماء الطّهور ؛ وهو المطهِر . والطّهارة من القبائح والرّذائل ؛ ومنه : ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾(5) .

حرف الميم : مثل بفتح والثّاء ، له أربعة معان : التّشبيه والنّظير ومن المثل المضروب ، وأصله من التّشبيه ، ومثل الشّيء : حالته ووصفه ، والمثل : الكلام الّذي يُتمثّل به ، ومِثل الشّيء –بكسر الميم– شِبهُه .(6)

حرف الياء : يمين ، له أربعة معان : اليد اليمنى والجهة اليمنى ، وبمعنى القوّة ، وبمعنى الحلف .(7)

ممّا سبق يتبيّن أنّ الإمام ابن جزي –رحمه الله– قد أولى المفردات اللغويّة أهميّة ، وركّز عليها في معانيها المختلفة ، ووضعها بادئاً بها في المقدّمة ليتسنّى لكلّ مطّلع أو قارئ أو باحث سهولة الرّجوع لهذه الكلمات ومعانيها الّتي وُضعت لها

وبهذه المقدّمة الثّانية –ذات الأهميّة– ختم ابن جزي –رحمه الله– مقدّمته ، ودخل في التّفسير ، مبتدئا بالكلام عن الاستعاذة والبسملة ، ثمّ الشّروع في سورة الفاتحة وما تلاها من السّور مرتّبة ترتيب المصحف إلى سورة النّاس .

(1) سورة الأعراف ، الآية (74) .
(2) سورة النّحل ، الآية (41) .
(3) سورة يونس ، الآية (93) .
(4) سورة المائدة ، الآية (6) .
(5) سورة الأعراف ، الآية (82) .
(6) التّسهيل لعلوم التّنزيل ، ابن جزي 52/1 .
(7) المصدر نفسه .

الخلاصة :

يستخلص ممّا سبق أنّ للمقدّمات في الكتب أهمية بالغة ، تتمثّل فيما يلي :

1-أنّ المقدّمة لها صدر الكلام وقوّة العبارة ونسق الكلام ، فهي بمثابة مقدّمة الجيش ، فبها تقرأ قوة الجيش وترتيباته وعتاده وعدته ، وكذا في المقدّمة .

2-أنّ المقدّمة -وخاصة مقدّمات المفسّرين- تطلعنا على شخصيّة المفسّر العلميّة والثّقافيّة ، فندرك مدى اطّلاعه وتبحّره في شتّى أنواع العلوم .

3-تعتبر المقدّمة -في حدّ ذاتها- فنّاً علميّاً له أساسات يُعتمد عليها ولابدّ منها .

4-مقدّمات التّفاسير تختلف كثيراً عن مقدّمات الكتب الأخرى ؛ من حيث طولها وتفاصيلها ، وما فيها من العلوم المهمّة .

5-أنّ المقدّمة بمثابة العنوان العريض للموضوع الّذي تحمله ويأتي بعدها .

6-أدرك المفسّرون أهميّة المقدّمة ، فأطالوها ، وقسّموها على عدّة مقدّمات ؛ ليسهل على القارئ والباحث قراءتها والبحث فيها .

الخاتمة

الحمد لله أوّلاً وآخراً ، والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين وخاتماً للأنبياء والمرسلين ، سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه والتّابعين إلى يوم الدّين ..

وبعد :

فهذا بحث مختصر ، تمّ تسليط الضّوء فيه على مقدّمة تفسير ابن جزي ، الموسوم بـ(التّسهيل لعلوم التّنزيل) وكان الغرض منه : سبر غور عقل هذا العلم ، ومعرفة إلمامه بالعلوم والفنون المختلفة من الثّقافات الّتي عاصرها في زمنه .

وكان من أهمّ النّتائج الّتي توصّل إليها الباحث هي :

-أنّ مقدّمات التّفاسير تحمل أنواعاً من العلوم المهمّة ، فالمفسّرون السّابقون قد اطّلعوا على علوم القرآن وأحاطوا بها ، ثمّ اختصروها في مقدّماتهم .

-أنّ بعض المقدّمات احتوت على قواعد مهمّة ، اختصّت بصاحبها ، فكان لزاماً الاطّلاع على المقدّمة ؛ لكي يفهم المراد في صلب الموضوع .

وأمّا أهمّ التّوصيات فتتمثّل في الآتي :

-على طلاب العلم دراسة هذه المقدّمات ، وإخراج ما فيها من العلوم والفنون ، فهي نافعة لدارسها وقارئها ، لما فيها من قواعد هامّة .

-أنْ تفرد مقدّمات التّفاسير بكتاب مستقلّ ؛ يشرح فيه المصطلحات والعبارات والمعاني المهمّة في تلك المقدّمة.

هذا وما كان فيه من صواب وتوفيق ، فمن الله وحده ، له الحمد والمنّة ، وما كان فيه من خطأ أو زلل ، فأعوذ بالله من شرّ الوسواس الخنّاس ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، فإليه المتاب والمآب .

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم .

ثانيا : قائمة الكتب .

1-الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الله النمري ، ت/ علي بن محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت – د.ط

2-أسد الغابة في معرفة الصحابة ، علي بن أبي الكرم = ابن الأثير ، ت/ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1- 1994 م.

3-الأعلام ، خير الدين بن محمود الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ط15 – 2002 م .

4-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني دار المعرفة ، بيروت ، دط .

5-تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان ، أحمد بن عبد الله = أبو نعيم الأصبهاني ، ت/ سيد سروري حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 – 1990 م .

6-التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس د. ط .

7–التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن أحمد ابن جزي الغرناطي ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط1– 2018 م .

8–التعاريف = التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط1 – 1410 هـ .

9–الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق وتخريج/ عماد زكي البارودي وخيري سعيد ، المكتبة التوقيفية ، القاهرة – د.ط .

10–حروف الزيادة في القرآن بين المجزين والمانعين (لا) أنموذجا ، سامي عطا حسن ، بحث على الشبكة العنكبوتية بتاريخ 15–5–2015 م .

11–حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، مطبعة السعادة ، ميدان أحمد ماهر ، ط1 – 1992 م .

12–الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت/ محمد عبد المعيد ضان ، دار المعارف العثمانية ، صيد آباد ، الهند – د.ط

13–سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ت/ أحمد محمد شاكر وآخرون – د.ط

14–سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ، ت/ خيري سعيد ، المكتبة التوقيفية القاهرة – د.ط

15–شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، اعتنى بها : بدر بن ناصر بن صالح الجبر ، دار ابن الجوزي ، ط1 1432 هـ .

16–صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري ، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت – د.ط

17–صفة الصفوة ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ط1 – 1994 م .

18–الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد الزهري ، تقديم/ إحسان عباس ، دار صادر بيروت – د ط .

19–طبقات المفسرين ، محمد بن علي الداودي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – د.ط

20–علوم القرآن الكريم ، نور الدين عتر ، مطبعة الصباح ، دمشق ، سوريا ، ط6 – 1996 م.

21–الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفومي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط1 ، 1998 م .

22–معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر ، عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت لبنان ، ط3–1988م.

23–مفاتيح التفسير معجم شامل لما يهم المفسر معرفته من أصول التفسير وقواعده ومصطلحاته ومهماته ، أحمد سعد الخطيب ، دار التدمرية ، الرياض ، ط1 – 2010 م .

Introduction to interpretation and its importance to the interpreter. Introduction by Ibn Jazi as a model

Gabriel Naji Muhammad Ahmed

Abstract

The introduction to each interpretation is of great importance, and there is an urgent need to read and carefully consider it before starting to read or review any interpretation. It contains keys to doors that are sometimes tightly closed in understanding, and it is not possible to understand what is in the interpretation except by looking at its introduction.

Most commentators have paid attention to the introduction and presentation of their interpretations. This is to introduce these interpretations and to explain the interpreter's approach and how he proceeds in explaining and clarifying the words of God, His Majesty, starting with Imam Ibn Jarir al-Tabari and ending with Imam Ibn Ashour and those who came after him.

This Imam Ibn Jazi - may God have mercy on him - the author of the interpretation entitled (Al-Tashil li Ulum al-Tanzeel) had written introductions before writing the interpretation, in which he explained what was mentioned above.

In this research, there is an explanation of these introductions in which Ibn Jazi established his rules and the interpretive principles that he adhered to and followed. Before mentioning and explaining these rules, the interpreter Muhammad bin Ahmad bin Muhammad bin Jazi al-Gharnati was introduced, and he mentioned a brief summary of his scholarly life, his sheikhs and students, his methodology in interpretation, and his death.

Then the researcher studied these rules and principles, clarified the ambiguous ones, clarified the ambiguous ones, explained each introduction after mentioning them, and clarified those rules and principles that the interpreter adhered to, thus facilitating consideration of the interpretation, and making the reader - and the researcher before him - know that each interpreter has his own methodology, which he adheres to and follows. on her.

This is what I seek from God Almighty for success, guidance, and sincerity in work. Whatever was wrong, I pray to God for forgiveness and mercy, for He is the Most Gracious, the Most Merciful, the Most Forgiving, the Generous. And whatever was right, praise be to God for His success and from Him.

researcher